لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه
فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد
لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان
ابن حرب في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبا ثعلبة والله لقد
سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال
الأخنس وأنا والذي حلفت به قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا
الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف
الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه قال فقام عنه
الأخنس وتركه ۝

وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا
قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة
فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو
قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ۝

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد القائلين استفهام
إنكار منهم لذلك أإذا كنا عظاما ورفاتا أي ترابا قاله مجاهد وقال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس غبارا أإنا لمبعوثون أي يوم القيامة خلقا جديدا أي بعد ما بلينا
وصرنا عدما لا نذكر كما أخبر عنهم في الموضع الآخر يقولون أإنا لمردودون في الحافرة
أإذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك إذا كرة خاسرة وقوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي
جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون وهكذا أمر رسوله ههنا
أن يجيبهم فقال قل كونوا حجارة أو حديدا وهما أشد امتناعا من العظام والرفات
أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
سألت ابن عباس عن ذلك فقال هو الموت وروى عطية عن ابن عمر أنه قال في تفسير
هذه الآية لو كنتم موتى لأحييتكم وكذا قال سعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقتادة والضحاك

٢٦

ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم قد صرتم موتى الذي هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا
شاء فإنه لا يمتنع عليه شيء إذا أراده وقد ذكر ابن جرير ههنا حديث يجاء بالموت
يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة أتعرفون هذا
فيقولون نعم ثم يقال يا أهل النار أتعرفون هذا فيقولون نعم فيذبح بين الجنة والنار ثم
يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ۝ وقال مجاهد
أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني السماء والأرض والجبال وفي رواية ما شئتم
فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم ۝ وقد وقع في التفسير المروي عن الإمام
مالك عن الزهري في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال النبي صلى الله عليه وسلم
قال مالك ويقولون هو الموت ۝ وقوله فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
أول مرة أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر شديدا قل الذي فطركم أول
مرة أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا مذكورا ثم صرتم بشرا تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم
ولو صرتم إلى أي حال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ۝ وقوله
فسينغضون إليك رؤوسهم قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاء وهذا الذي قالاه
هو الذي تعرفه العرب في لغاتها فإن الإنغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى
أسفل ومنه قيل للظليم وهو ولد النعامة نغضا لأنه إذا مشى عجل في مشيه وحرك
رأسه ويقال نغضت سنه إذا تحركت وارتفعت من منبتها قال الراجز
ونغضت من هرم أسنانها ۝ وقوله ويقولون متى هو إخبار عنهم بالاستبعاد
منهم لوقوع ذلك كما قال ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وقال تعالى
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها قل عسى أن يكون قريبا أي احذروا ذلك فإنه قريب
إليكم سيأتيكم لا محالة فكل ما هو آت آت ۝ وقوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
أي الرب تعالى إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون أي إذا أمركم بالخروج منها
فإنه لا يخالف ولا يمانع بل كما قال وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر وإنما قولنا لشيء إذا أردناه
أن نقول له كن فيكون وقال فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة أي إنما هو أمر
واحد بانتهار فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها كما قال يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده أي تقومون كلكم إجابة لأمره وطاعة لإرادته قال علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس فتستجيبون بحمده أي بأمره وكذا قال ابن جريج وقال قتادة بمعرفته
وطاعته وقال بعضهم يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده أي وله الحمد في كل حال وقد جاء

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1